

## الفصل الثاني

### الدرس الكبير

(قال رجل لنبى ﷺ : ماشاء الله وشئت . قال  
أجعلنى لله نداً . قل ماشاء الله وحده )

حديث شريف

إذا قيس عظمة الدعوة بأصالتها وطريقتها في بلوغ المقاصد التي تغياها فعملة الدعوة الدينية تضعف أو تتضاعف قدر ما في طريقها من ورع في التنفيذ وإخلاص الاتجاه إلى الله . والإمام نبت تنتج حاجات بلاده . وتتجلى إمامته في مقدار ما يمثل روح أمته على طول أعصرها كما يجب أن يكون عليه . لا كما هي عليه ، وفي مبلغ توفيقه في أن يجعل سيرته درساً من دروس دعوته .

وعظمة الأمم في هذا أدنى درجة من الأئمة .

وحياة الإمام في ذاتها إمام .

وروح الأمة الإسلامية الذي تحيا به هو تمسكها بالأمر الأول . وبقدر بعدها منه تقاس هزائمها ونكساتها .

وما هو إلا منهج السلف الصالح أعلنه الأئمة للناس ونقدوه .

وحيث يقوم منهج السلف الصالح لا يكون للبدع مقام . فالناس عندئذ يؤمنون بالله وحده لا شريك له . فتستقيم حياتهم وشخصياتهم . وتصح عباداتهم وتصلح معاملاتهم . ويستعملون العقل فيجتهدون ولا يقلدون . ويجاهدون العدو الخارجي ، فلا يقبلون الضم ولا يستسلمون . ويقهرون العدو الداخلي من عيوب أنفسهم أو مجتمعاتهم .

ولما تنازع المصلحون على نهج ابن عبد الوهاب وتعايجه كان ذلك نطقاً من الزمان ، مع التطور العلمى والحضارى والتكنولوجى ، بأن الإمام الذى خلد ذكر مجد وأعاد المجد لجزيرة العرب منذ القرن الثانى عشر كان يمثل روح أمته .

فالعرى أو العرى الأصل فارم التوحيد الأمثل . كأنما نتجه الله ونتج الكون العظيم صنوين أو ثوبين . فالتسبيح ينصب انصباباً في كيان العرى بفطرته ، إذ يتحرك بين عناصر الطبيعة الكبيرة

كالصحراء ومدنها وكالجبل والبحر ، أو الصغيرة كحبة الرمل أو قطرة الندى . يأسره الإحساس بوجود خالقه معه في كل خطوة يخطوها وخطرة تحظر له . فيرعى هلمات السماء سمعه ، وكأنها في حوار معه : بالجلجلة أو الصرير أو القيق أو الزمهير ، حيث يقم أو يرتحل ، من حيث تضمن الدنيا بالماء والأمن إبي حيث تسخو .

والدنيا كلها فلاة واسعة الجنبات تحت أظلاف خيله أو أخفاف غيره . فالضيقة والثلة والمعاناة قوة له ، ومعونة على الرحلة . وفيها مفخرة لا مثلية . والرسول عليه الصلاة والسلام يهديه في مفازة الحياة بقوله ( إن بين أيدنا عقبة كئوداً لا يجوزها إلا الخف ) .

ومن الحركة والوحدة والتواصل بين السماء والصحراء كان الذكاء والسخاء والشجاعة وبعد الهمة ، ووجازة العبارة وامتداد الخيال والصدور عن الفطرة . فما أحراه بأن يكون جندى السماء . والعربى منطبق بفطرته وزكاته . يعتبر برهان ربه إذ ينظر إلى إبله كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض التى سطحها الخالق ، لتعلن له في كل دقة قلب أو طرفة عين أو نبضة عرق أن كل ذلك بقدر . يسيطر عليه الانسجام التام والتكامل الوثيق والتوافق الدقيق والتوازن الذى لا يتخلف . فتنتظه بأن خالق هذا الكون كله واحد ، وأن هذا الانسجام والتكامل والتوافق والتوازن تسبيح من الأشياء للخالق ، وأن الناس جميعاً يستون تحت سلطانه . فلا أحد أقوى من صاحب الصحراء في إيمانه وفي يقينه بنصر الله له .

وفي البادية طلاقة وفي العروبة وضوح . والإعراب - من أجل ذلك - إفصاح . واللسان العربى لذلك لا يحتمل الغموض .

وفي العرب شموخ وبصيرة يمنعان إلقاء الزمام بالاستسلام للبدوات . ويحضان على الاحتياط في التسار ، والاختيار قبل الاختيار ، مع الاستعانة بالفطرة والعقل لاستنباط المجهول عن طريق المعلوم الذى يلمس بالحواس الخمس . . يستوقفه ويكون فكره الأمر الظاهر له . الصافي صفاء السماء فوق إقليمه ، ولهذا أَوَّنَ المستعربون ولم يتأول العرب .

من هذه الواقعية في العروبة كانت الموضوعية في الفكر والتمام الصدق ، ومن واقعية العربى وصدقه واحتياطه لمأنى كل أمر التزم العلم الإسلامى من عهد السلف الصالح لكل خبر إسناداً ، في حين تخيل الآخرون وتصوروا أو تعلموا دون تأكيد ، فلم تثبت أخبارهم ولا عنومهم ، وتكاثرت فيها الأساطير فارسية وإغريقية .

وخطب الله البشر باللسان العربى ورسوله العربى ، واختص البلدة المباركة ببيته العتيق ، ليهب للعربية والعروبة وجزيرة العرب صدارة . يقول الشافعى في الرسالة : ( وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبى . ولا يجوز - والله أعلم - أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسان غير

لسانه في حرف واحد . بل كل لسان يتبع لسانه . وكل أهل دين قبله فعليه اتباع دينه . وقد بين الله ذلك في غير آية من كتابه قال : ( وإنا لتنزّل رب العالمين . نزل به الروح لأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين ) .

وقال . . وعرفنا بما خصنا به من مكانة فقال : ( لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ) وكان مما عرف الله نبيه من إنعامه أن قال : ( وإنا لنذكر لك ولقومك ) فخص قومه بالذكر معه في كتابه قال : ( ولتندر أم القرى ومن حولها ) . وأم القرى مكة وهي بلده وبلد قومه . فجعلهم في كتابه خاصة وأنذرهم مع المنذرين عامة ) وقال : ( فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده ) .  
والعرب مادة الإسلام كما يقول عمر .

أو كما قال قتادة بن دعامة السدوسي ( ١١٧ ) : ( إن المسلمين لما قالوا لا إله إلا الله أنكروا ذلك المشركون وكبرت عليهم وضائق بها إبليس وجنوده فأبى الله إلا أن يمضيهما ويظهرهما ويفلجها وينصرها على من ناوأها . ومن قاتل بها نصر . إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة التي يقطعها الراكب في ليالي قلائل ويسير من الدهر في فئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرون بها ) .

ولا عجب أن تنزل الديانات في العرب وأن يقل من يتصورون منهم أو يتهودون . فالعربي دينه التوحيد لا يسبغ التشبيه أو التجسيد ، ولا يعبد المال ، ولا يخضع لسيطرة .  
وليس عجباً أن يعيش المسلمون بعد الأجيال الثلاثة الأولى في مستوى أدنى من الإسلام ذاته ، إذ ضعف العرب وتقهقرت العروبة وتكاثر الشعوبيون .

وفي حين لم يدخل العرب بلداً إلا جنوداً لله لا يغزون أو يستعمرون . وكثيراً ما ينسحبون تاركين أهل البلاد المفتوحة بعد إذ يسلمون ، جاء الفرس والترك والتار إلى بلاد العرب غزى جبارين .  
فلا تسأل : لماذا أنزلت الديانات في أرض العرب ولا كيف كان التوحيد سليقة تسبق دعوة ابن عبد الوهاب وجيوش ابن سعود إلى أرجاء جزيرة العرب . فإنما عملت في خدمة الدعوة الفطرية العربية واللسان العربي والاتجاه إلى البيت العتيق صباح مساء .

\* \* \*

وبعد : فما الذي يدلى به الشيخ في مجالسه أو في كتبه ؟ إن رسالات للعلماء وإن مؤلفات تعد بالعشرات ، وهو قد جلس للتدريس ستين عاماً أو تزيد وأوفد الوفود ، وأوصى الكتاب في الزحوف ، وعلم الأمراء والعلماء والجمهور والمتفهمة ؟ إن الجواب يمكن تحصيله في كليات هي :  
١ - الدعوة للتوحيد وتحرير الذات الإنسانية من الاستعباد للبشر فلا إله إلا الله وحده .  
٢ - تحرير الفكر الإنساني من مذلة التقليد واتباع السابقين إلا أن يكون عملاً تبعه ونحن

فقهه عمله الرسول وصحبه فذلك اتباع لا تقليد .

٣ - تحرير النكر الإسلامي مما يدخله عليه المؤولون من آراء رأوها أو أوهاهم توهموها أو أكاذيب روج لها أعداء الدين .

٤ - الدعوة الصادقة للإسلام بالجهاد في سبيل الله أمراً بالمعروف أو اثاراً به ونهياً عن المنكر أو انتباء عنه .

والشيخ في تطبيق هذه المبادئ الأربعة وتعليمها ينهج نهج الرسول عليه الصلاة والسلام وهو التعليم ، وتلقيح ألباب الرجال وتثقيفهم وتطهير أنفسهم . ثم الجهاد للدفاع عن جوهر ما تعلموه والشيخ يجي سنة درست ، ويصوب علماء تواتروا على القعود في صحون المساجد دون عمل ، أوفى قاعات التدريس قانعين بالشروح والتعليقات ومقلدين للنسابقين .

ولئن كان من العلماء من رابط مع أصحاب الرباط أو كان في حاشية الملوك في الحروب ، إن الشيخ صنع ما لم يصنعه هؤلاء وما لم يصنعه شيخه ابن تيمية ذاته . إذ تعاهد على الحرب مع الأمير ، وخاض معاركها ، ونصر الله المسلمين فيها به . وبدأت به مرحلة جديدة في تاريخ الإسلام .

وبهذه الخصيصة ، وما أثرت في تاريخ الإسلام ، وضع ابن عبد الوهاب اسمه في جوار هذا الثبت الحافل بأسماء أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل وابن تيمية .

## المدخل إلى التوحيد

أدرك الشيخ ضرورة أن يعاد بنان المجتمع على أساس الشريعة ، لأن التوحيد لن يبلغ مبلغه إلا أن يحسن إيمان الأفراد . وبهني أنفسهم بأوليات العقيدة ليعملوا بها . فأنتج كتابه ( التوحيد الذي هو حق المولى على العبيد ) كتباً شتى في أبوابها مجتمعة في غرضها ، وهو إعداد الناس ليدركوا معاني الكتاب الأول ويلتزموها .

وهذا ظاهر من استعراض بعض الكتب مثل :

مسائل الجاهلية وشرح سورة الفاتحة وتفسيراته للآيات المتفرقة والسور القصار وكتاب الكبائر ونصيحة المسلمين بأحاديث سيد المرسلين والأصول الثلاثة وأدلتها وأصول الإيمان والكلمات النافعة والمسائل المائة وفضل الإسلام ومجموعة الرسائل . . الخ . الخ .

ولم يكن الشيخ ليوفى على الغاية إلا بما بلغه من شمول فكر يتجلى في أمرين :

١ - الاقتدار في فقه العبادات والمعاملات ، فالفقه أشرف العلوم الإسلامية ، لأنه أداة

العدل ، وضابط العمل في الصحة والفساد .

ومن شرف الفقه يشرف الفقهاء العاملون به . ويخزي العلماء الذين لا يعملون .  
٢ - الإحاطة الدقيقة بسيرة صاحب الرسالة ومالقيه في الدعوة إن سلماً وإن حرباً . والسيرة صميم المنهج السلي ، لأنها تطبيق على يد صاحب الشريعة وصحبه . وتطبيق السلف حجة . وعلى ذلك كان من أهم ما كتبه الشيخ وعلمه بعد كتاب التوحيد مختصران في الفقه والسيرة : الأول منها يكتفي لوضع الشيخ في موضعه بين عطاء الفقهاء إذ هو مختصر كبير لكتابين كبيرين في المذهب .

والآخر يكتفي كل مسلم ليدرك صميم الرسالة وجوهرها وبطاق القول والعمل وجلال الأسوة من عمل النبي وصحبه . والسيرة مصدر للفقه .

وفي الاختصار مشقة ودقة . وبخاصة في كتب الفقه لما يجب لها من جمع الفكر العظيم في حيز ضئيل . ثم بسطه للقراء ، مع إسقاط التفاصيل وإضفاء الفهم الذاتي لمن يصنع ذلك ، ومن ذلك يعتبر المزني بمختصره أفتحه أصحاب الشافعي .  
وليست سيرة النبي سيرة واحد من العطاء ، وإنما هي التطبيق الحلي للرسالة كما أنزلها الله وأراد تطبيقها ، فالاختصار فيها درجة اقتدار وإحاطة تضوّل دونها شروح المحشين والمعلقين .

" = "

في هذه الكتب جميعاً يقدم الشيخ الدليل القرآني والحديث النبوي وعمل الصحابة والتابعين وإليك أمثالاً :

في كتاب الكبائر اهتمام مدحوظ بهزاه الراعي وضاعة الرعية أي بنظام الدولة - وفي ذلك يحدث حديث ابن عمر : (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وأوكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) وحديث ابن عباس : (من كره من أميره شيئاً فليصبر ، فإن من خرج من السلطان قيد شبر مات ميتة جاهلية) وحديث عرفجة : (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتهوه) .

وحديث حذيفة : (ستكون بعدى أئمة لا يهدون يهدي ، ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جحائن إنس ! قلت يا رسول الله : كيف أصنع إن أدركت ذلك ؟ قال : تسمع وتطيع الأمير وإن ضرب ظهرك أو أخذ مالك) .

وحديث أبي هريرة : (سأل أعرابي النبي ﷺ متى الساعة ؟ قال : إذا ضيقت الأمانة فانتظر الساعة) قال : كيف إضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة) .

وحديث أبي بصير : ( لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها ، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإذا حلفت على يمين فرأيت خيراً فيها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك ) .

وفي هذا الباب الأساسى لصلاح الدولة والأمة : ينص الشيخ أسانيد الرحمة فيروى دعاء الرسول : ( اللهم من شق على أمتي شيئاً فشق عليهم واشقق عليه . ومن ولى من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق عليه ) وحديث أبي مریم الأزدي قال معاوية : ( سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم ، احتجب الله من حاجته وخلته وفقره يوم القيامة ) .

والشيخ إمام يعطى كل ذى حق حقه ، وحق الأمير الطاعة ، وحق الأمة العمل فى خدمتها فهى تطيعه ما أطاع فيها الله .

- وفى كتاب فصل الإسلام يتصدى الحاجات الجماعة فيبين خطر البدع على الفرد والجماعة : فى الصحيح أن النبي ﷺ قال فى الخوارج ( متى لقيتموهم فاقتلوهم ) .

ويذكر الشيخ حجة قاطعة ( ذكر للنبي : أن بعض الصحابة قال : أما أنا فلا آكل اللحم ، وقال ثان : فأما أنا فأقوم ولا أنام ، وقال ثالث : أما أنا فلا أتزوج النساء ، قال رابع : أما أنا فأصوم ولا أفطر ، فقال : لكننى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني ) . ويضيف الشيخ « فتأمل إذا كان بعض الصحابة أراد التبتل فى العبادة وقيل فيه هذا الكلام الغليظ وسمى فعله رغوباً عن السنة فكيف بغير هذا من البدع ؟ وما ظنك بغير الصحابة ؟

ثم ينتقل الشيخ من الاستشهاد بالتبتل ليتكلم عن التبتل لتتجلى الحجة فى الشيء وفى تقيضه . فيروى عن سعيد أخى الحسين أنه قال : ( إنكم اليوم على بينة من ربكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتجاهدون فى سبيل الله ولم يظهر فيكم السكران سكر الجهل وسكر حب العيش . وستحولون عن ذلك ، فالتمسك يومئذ بالكتاب والسنة له أجر خمسين ) ذلك معنى قوله ﷺ : ( طوبى للغرباء الذين يتمسكون بالكتاب حين يُترك ، ويعملون بالسنة حين تُطفأ ) . وقوله ﷺ : ( . . . ) إنه من يعيش منكم فسرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة خلفائى الراشدين المهديين . عضوا عليها بالواجب . وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة ) .

والشيخ يعرف البدعة تعريفاً نبوياً لا يرق إليه اشتباه فيروى حديث حذيفة : ( كل عبادة لا يتبعها أصحاب محمد فلا تتبدها ، فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من قبلكم ) .

- وفي كتاب أصول الإيمان يروى عن ابن عمر قول النبي ﷺ : (كل شيء بقدر حتى العجز والنكيس) .

وعن ابن القيم قوله : فاتفقت هذه الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه ، بل يوجب الجهد والاجتهاد . ولذلك لما سمع بعض الصحابة ذلك قال : ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن ، وقال أبو عثمان النهدي لسلمان : لأنا بأول الأمر أشد فرحاً مني بآخره .

ويروى عن أبي الدرداء : ( ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته ؛ فإن الله لم يكن لينسى شيئاً . « وما كان ربك نسياً » ) .  
وعن علي : (الفتية من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يرخص لهم في معاصي الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره . إنه لا خير في عبادة لا علم فيها . ولا علم لا فهم فيه . ولا قراءة لا تدبر فيها) .

وعن الحسن إذ سمع قوماً يتجادلون : ( هؤلاء قوم ملأوا العبادة وخف عليهم القول . وقل ورعهم ، فتكلموا ) .

» « «

وفي الأصول الثلاثة وأدلتها يقول بين تفصيل طويل : إن على كل مسلم أن يتعلم أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملأً وأن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحدٌ . وأن من أطاع الرسول ووجد الله لا يجوز له موالاة من حادَّ الله ورسوله ولو كان أقرب قريب .  
ويؤاى الشيخ شرح القيم التي لا معدى عنها لقيام مجتمع سليم فينبه على تضامن الجماعة والبر بدوى القرى ، وعلى أن إحسان العمل بحاجة إلى توفيق الله ورضاه وإن أحسن الإنسان كل الإحسان .

يروى عن عمر وكأنه يرى مصير قاضيه في تحكيم على ومعاوية رضى الله عنهم أجمعين : ( عن أبي بردة بن أبي موسى قال : قال لى عبد الله بن عمر : هل تدرى ما قال أبى لأبيك ؟ قلت لا ، قال : فإن أبى قال لأبيك : يا أبا موسى ، هل يسرك أن إسلامنا مع رسول الله وهجرتنا معه وجهادنا معه يرد لنا ، وأن كل عمل عملناه بعده نجونا منه كفافاً رأساً برأس ؟ فقال أبوك لأبى : لا ، والله ، فقد جاهدنا بعد رسول الله ﷺ وصلينا وضمننا وعملنا خيراً كثيراً وأسلم على أيدينا بشر كثير وإننا لنرجو ذلك ، ولكنى أنا ، والذي نفس محمد بيده ، لو ددت أن يرد ذلك لنا . وأن كل عمل عملناه ، بعده نجونا منه كفافاً رأساً برأس . فقلت : إن أباك والله كان خيراً من أبى ) .  
ويروى قول ثوبان عن النبي عليه الصلاة والسلام وكأنما يقصد بها عصرنا الحالى : «توشك

الأهم أن تداعى إليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : « بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم كغناء السيل . ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم . وليقذفن في قلوبكم الوهن» قال قائل : يا رسول الله ما الوهن ؟ قال : «حب الدنيا وكرهية الموت»

– ويجمع في (المسائل المائة) رؤوس مسائل لم يعد للإسهاب فيها فيما بعد . وكلها تدور حول الأمور التي أصنع الله بها بال المسلمين ، ومدارها التوحيد والحرية وظهارة النفس واعتبر الحق هو القيمة الحقيقية .

ويظهر فحوى هذا الكتاب من فاتحته . فالمسألة الأولى من المسائل المائة هي أنهم كانوا في الجاهلية (يعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله تعالى وعبادته ، ويرون ذلك من تعظيم الصالحين الذي يحبه الله . ويريدون بذلك شفاعتهم عند الله لظنهم أنهم يحبون ذلك كما قال تعالى في سورة الزمر ٢ ٣ : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين . ألا الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون) قال تعالى في سورة يونس / ١٨ : (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله فأتى بالإخلاص . . . وهذه المسألة هي الدين كله . ولأجنها يفرق الناس بين مسلم وكافر . وعندها وقعت العداوة . ولأجلها شرع الجهاد . وكما قال تعالى في البقرة / ١٩٣ : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) .

## التوحيد

ألف الشيخ كتاب (التوحيد الذي هو حق المولى على العبيد) في ثلاثيناته وهو في طبعة مؤلفاته إن لم يكن أسبقها كافة<sup>(١)</sup>

(١) عني المؤلفون في سيرة ابن عبد الوهاب ودعوته بهذا الكتاب ومن أولئك آل الشيخ أنفسهم . وهم فيه أكثر من شرح . ولعل أكثرها تعداداً كتاب فتح مجيد في شرح كتاب التوحيد . ألفه الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ (١٢٥٦) . مضيافاً فيه إلى تأليف سابق قام به حفيد آخر للشيخ هو سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ساه (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد) . ثم اختصره في كتاب آخر (قرة عيون الموحدين) .

وأي عبد الرحمن إلى مصر حيث درس بالأزهر . ثم عاد في بعد سنة ١٢٤٦ . يقول عنه ابن بشر في كتاب (عون محمد) : « يدور في حوادث تلك السنة : (وفيها أقبل من مصر العثمانيون والتحرير والنجار العزيز مفيد عشرين خصوصاً بمباركة رب العالمين جامع أنواع علوم الشرعية) .

ولئن ساء تقديم فحوى الكتاب في كلمات - فهي أن الشيخ يرى أن التوحيد ليس مجرد توحيد الربوبية : إن الله وحده خلق العالم ، بل الإقرار بأن الله هو المستحق وحده للعبادة مع الالتزام بتنفيذ هذا الإقرار.. وذلك أن المشركين العرب كانوا يقولون بأن الله وحده خالق كل شيء ، وكانوا مع هذا مشركين بقوله تعالى في سورة يوسف / ١٠٦ : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركين) . ويقول في سورة البقرة / ١٦٥ : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) . فكلمة لا إله إلا الله لا تنفع قائلاً إلا أن يعرف مدلولها نفيًا وإثباتًا . ومن قافا على غير علم واعتقاد وعمى فهو جاهل ، ومن أشرك بالله عن جهل وجب تعليمه . فإن أصر لزوم حربه . وبين الشيخ حقيقة التوحيد كما فهمها المسلمون من السلف الصالح وضروب الشرك التي سقط فيها بعض المسلمين عندما تدهوروا في القرون اللاحقة ، واعتقدوا اعتقادات فاسدة ، وأقفلوا باب الاجتهاد ، وقعدوا عن الجهاد .

والمعتقدات الفاسدة هي التي أمكنت أعداء المسلمين من المسلمين بمجهلهم خصائص الدين . وإطفاؤهم شعلة العقل وتقليد قليل من الرجال أزمة تفكيرهم ، والرضا بمجرد الحياة على وجه الأرض . لا بالحياة التي ترفع المسلم درجات .

يستفتح الشيخ بالآي من الكتاب الكريم مثل قوله تعالى في سورة الذاريات / ٥٦ : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) . وقوله في سورة الإسراء / ٢٣ : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) وقوله في سورة النساء / ٣٦ : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) وقوله في سورة الأنعام / ١٥١ : (قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً) : أى يبدأ بتخصيص الخلق بعبادة الله وباجتناب عبادة الشيطان وعدم إشراك أحد مع الله .

ثم يورد قول ابن مسعود : من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى : (أتل ما حرم ربكم عليكم - إلى قوله وأن هذا صراطي مستقيماً) . وحديث معاذ بن جبل : (كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي : يا معاذ ، أتدرى ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ فقلت : الله ورسوله أعلم قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً ، قلت : يا رسول الله ، أفلا أبشر الناس؟ قال : لا تبشروهم فيتكلموا) .

وإيراد الحديثين بعد الآيات شرح للكتاب بالسنة وهو منهج الإمام أحمد تبعه فيه ابن تيمية فابن عبد الوهاب ومن أخذ أخذه .

وعبادة الخالق لا تقبل عبادة المخلوقات ، وتستلزم الإذعان التام بإسلام الوجه لله تعالى بإخلاص العبادة المنافي للشرك والتفاني . ولا يصدق ذلك ممن خالف قلبه لسانه فهو عاصٍ منافق ، وإنما

الصادق هو المحب في الله والمبغض في الله ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال تعالى في سورة التوبة/ ٧١ : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) . والرسول يقول : (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى) .

وتحقيق التوحيد تصفيته من شوائب الشرك في العبادة بدعوة من لا يضر ولا ينفع من الأموات أو العائنين أو الطواغيت أو الجن أو طلب الخير من غير الله ، فمن دعا غائباً وأقبل عليه بوجهه وقلبه رغبة إليه أو رهبة منه سواء ماله أو لم يسأله - فهذا هو الشرك ؛ ولهذا حرم الله اتخاذ الشعاء . فمن اتجه إلى الشفيع فقد أعرض عن الله. والله تعالى يقول في سورة البقرة/ ١٦٥ : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحُبِّ الله) فمن يتخذ ندا تساوى محبته محبة الله فهو مشرك ، وليس شرك المشركين بعبادة الأصنام وحدها ، وإنما بدعاء العائنين والموتى لجلب نفع أو دفع ضرر ، فهذا من الشرك الأكبر .

(ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) الأعراف/ ١٨٠ فالتوسل إلى الله يكون بأسائه وصفاته كقوله (اللهم إني أسألك أنت الله لا إله إلا أنت . . . ) .

والذين يتخذون الأبحار والرهبان أرباباً من دون الله يتبعونهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام ويحبونهم كأنهم أنداد الله - يشركون .

والذين يغفلون في قبور الصالحين ويبنون عليها المساجد والمشاهد يشركون .

ومن الشرك لبس الحلقة والخيط ونحو ذلك لرفع البلاء أو دفعه ، فالتة يقول في سورة الزمر/ ٣٨ : (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره؟) والرسول يقول : (من تعلق تيممة فلا أم له الله ومن تعلق ودعة فلا ودع له الله) ويروي ابن مسعود عن الرسول : (إن الرقى والتائم والتولة شرك) (١) وإبراهيم النخعي يقول : إنهم كانوا يكرهون التائم

(١) إذا كان في الرقية ذكر الله تعالى فإنه يستحب والرقية حيث دعا ورجاء لله تعالى . وقد كانت رقى أهل الجاهلية مزروجة بالسحر .

ويقول النبي ﷺ : ( ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية) .

أما الحزن من غير جزع والبكاء بغير عويل فيه قول عمر إذ سمع النسوة يبكين خالد بن الوليد وأراد بعض منعهن فقال : (دعهن يبكين على أبي سنان ما لم يكن نفع ولقطة) . والنقع التراب على الرأس واللقطة الصوت .

ويقول تعالى في سورة الإسراء/ ٥٧ : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ، ويخافون عدايه إن عذاب ربك كان محذوراً) . فالتة تعالى ينكر على من دعا معه غيره من الأنبياء والصالحين والملائكة ومن دونهم لأن دعا لغائين والموتى لجلب منفعة أو دفع مضرة شرك أكبر لا يغفره الله .

ومن الشرك ما يعطل النقل ويدفع إلى التقليد ويمنع الاجتهاد . قال تعالى في سورة التوبة/ ٣١ : (اتخذوا أحبارهم ورجهاتهم

أرباباً من دون الله) .

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ تلا هذه الآية على علي بن حاتم القاضي فقال سدى : ( يا رسول الله لسا نعبدهم قال : ليس بجلون لكم ما حرم الله فتحلونه وبحرمون ما أحل الله فتحرمونه ) قال لي : قال النبي ﷺ : ( فتلك عبادتهم ) .  
والرسول يقول : ( احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك ) .  
ويقول : ( إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله وأن أحمدهم على رزق الله وأن تدمهم على ما لم يؤتلك الله . وإن رزق الله لا يجره حرص ولا يرده كراهية كاره ) .

وأما كونه يتقدمون التائب مبيح في قضاء حاجاتهم كما كانت فعله جاهلية العرب ويفعله الصوفية الجهال ويأدبهم ويستجدونهم فهذا من المنكرات . وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كراهات فحسبي الله أن يكون أولياء الله بهذه المنطقه فهذا ظن أهل الأوثان !

وقد كان علي وعمر من أصحاب الكرامة ، وكلاهما عاقب على اشتراك أشد العقب : الأولون حدة الأخاديد لم يخوفيه .  
والآخر وجه المحنت لم يدع نفسه كرامة ، بل كان من أكثر المسلمين عملاً بتواضع الله .

وأما ما فاته للتصوفه من أن منهم أبدالاً ونبلاء وأناداً ونجباء وسبعين وأربعين وأربعة والفضة هو العوت للفس فهذا من موبوءعات حكمهم - كما ذكره القاضي تحدث في سراج المريدين وابن الجوزي وابن تيمية . والله يقول في سورة الأعراف ١٨٨ :  
( قل لا أملك للنفس نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله ) والرسول حين أزل عليه ( وأندار عشرتك الأقرين ) يقول : ( ما معشر قريش أو كتمة خيرها اشتروا أنفسهم لا أئني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب ، لا أئني عنك من الله شيئاً ، يا ضبيعة ( عمته رسول الله ﷺ ) لا أئني عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد سئيت ما شئت لا أئني عنك من الله شيئاً ! ) .  
ويقول ابن القيم : ( ومن أنواع الشرك طلب الحاجات من المولى والاستعانة به ، وهذا أصل شرك العبد ، فإن لم يست قد قطع عنه ، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ) .

والله يقول : ( فصل لربك والآخر ) : أي لله وحده .  
قال رسول الله ﷺ : ( عن الله من دبح لعنير الله ) .

فهذه الذنوب من عبادة التفسير تقريباً إلى أصحابها ليقتضوا حاجات كلها شرك لا ريب فيه : يقول الله تعالى :  
الأندم ١٣٦ ( وجعل الله ما درأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله برعهم وهذا لشركائنا قد كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكون ) . ويقول ابن تيمية : كالتدبير للأصنام والشمس والقمر . . . والظهور لزيارة القبور معصية باتفاق المسلمين لا يجوز الوفاء بها والتدبير لخدمة القبور واتجاورة القبور معصية لأشك فيها . وإن فسد التادير تعظيم القبلة أو الشهد أو الزاوية أو من دفن فيها فالتادير باطل لا يعتقد بالإجماع .  
ومن الشرك أن يستغث بغير الله أو يدعو غيره :

يقول ابن تيمية : فليعلم أن المتسبب إلى الإسلام في هذه الأزمان قد عرف أيضاً من الإسلام لأسباب منها : الغي في بعض المشايخ . بل الغي في علي بن أبي طالب . بل الغي في المسيح : فكل من علا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوع من الإلهية مثل أن يقول : يا سيدي . فلان . انصربي أو اغشي أو ارقبي أو أرق في حملك ، نحو هذه الأقوال . فكل هذا شرك وضلال .  
ويقال : من جعل بيته وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويستأجرهم كغيرهم .

وهذا الذي يقوله الإمام الخليلي بقوله الأحناف : في الضاوي لبرازية : من قام بأرواح المشايخ حاضره فقد كذب . وقال الشيخ مسع الله الخليلي : أما قوله للأولياء تصدقات في حياتهم وبعد موتهم فبإذن الله تعالى في سورة النحل ٦١ - ٦٤ . ( مع الله ) .  
وسورة الأعراف ٥٤ ( ألا له الخلق والأمر ) . الخ . الخ . الخ .

كلها من القرآن وغير القرآن . وعلى ذلك كان كل تلاميذ عبد الله بن مسعود . وعن عتبة بن عامر أنه جاء في ركب عشرة إلى رسول الله ﷺ ، فبايع تسعة ، وأمسك عن رجل منهم ، فقالوا : ما شأنه ؟ قال : إن في عضده تيممة فقطع الرجل التيممة فبايعه رسول الله ﷺ قال : ( من علق تيممة فقد أشرك ) .

وعن ابن مسعود أنه دخل على امرأته وفي عنقها شيء معقود ، فجدبه فقطعه ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الرق والتائم والتولة شرك » قالوا يا أبا عبد الرحمن : هذه الرق والتائم قد عرفناها فما التولة ؟ قال شيء تصنعه النساء يتحيين به إلى أزواجهن .

وقد تعلم المسلمون من كتابهم وستة رسولهم أن يظلبوا المسبيات من أسبابها ويعرضوا عما يقوله بعض من أسباب خفية يزعمونها ويروجها سدة المعابد والمتاجرون بالأوهام والله يقول . ( قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ) - الخ ٦٥ . ويقول ( ولو كنتم أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء . إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ) الأعراف ١٨٨ . ويقول : ( أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ) سبأ - ١٤ والرسول يقول : ( من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه بما قال لم تقبل له صلاة أربعين يوماً ) ويقول : ( من أتى كاهناً فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ) .

والرسول يقول في السحر والطيبة : ( ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ) .

وفي النصف في العقد يقول : ( من نفث في عقدة فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ) . وسئل عليه السلام عن النشرة - حل السحر عن المسحور - فقال : ( هي من عمل الشيطان ) والسحر واحد من المويقات وحد الساحر ضربه بالسيف ، فالسحر شرك ، ومن أتى عرافاً فصدقه فقد أتى عملاً من أعمال الشرك .

والنشرة مثل السحر فإن كانت بسحر فهي مثله . وإن كانت بدعاء أو بدواء ونحو ذلك فهي حلال . ولما ذكرت الطيرة - وهي التشاؤم بالمرئ أو المسموع - عند رسول الله قال : أحسنها أنفأل ولا ترد مسلماً ، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : ( اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك ) .

ولأحمد من حديث ابن عمرو : ( من رذته الطيرة عن حاجته فقد أشرك ، قالوا : فما كفارة

- ويقول الرسول : ( أخوف ما أخاف عليكم نشرك الأصغر ) ، فشل عنه فقال : الرباء .

ويقول : ( الشرك الخفي : يقوم للرجل فيصل فيرين صلته ذيرى من نظر رجل ) .

فخافة الآخرين ومراءاتهم شرك صغير ، وهو لا شك كثير لحدوثه ، فهو يضعف الإيمان في الأمة ، وذلك كان أخوف ما يخافه عليهما .

ذلك ؟ قال : أن يقول (اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك) .  
والناحية ترتكب إحدى الكبائر. وفي الحديث شدة الوعيد عليها قال عليه السلام : (الناحية إذا لم  
تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من حרב) .

ومن الشرك التبرك بشجرة أو نحوها ! قال أبو واقد الليثي : خرجنا مع رسول الله إلى حنين ،  
ونحن حدثاء ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لما ذات أنواط ،  
ففررنا بسدرة فقلنا ، يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال : (الله أكبر ،  
إنها السنن . قلمت ، والذي نفسى بيده ، كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال  
إنكم قوم تجهلون<sup>(١)</sup>) ، لتزكين سنن من كان قبلكم)

ومن الشرك النذر لغير الله : كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور . والعبادة إذا صرفت لغير  
الله صارت شركاً والرسول يقول : (من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله  
فلا يعصه) .

ومن الشرك الاستغاثة بغير الله أو دعاء غير الله . وهو يقول في سورة يونس / ١٠٦ : (ولا تدع  
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين) .

روى الطبراني (٣٦٠) أنه كان في زمن رسول الله منافق يؤدي المؤمنين ، فقال بعضهم :  
قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ : (إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث  
بالله) . وما هذا إلا لحماية التوحيد وسد ذريعة الشرك والتأدب مع الله . والله تعالى يقول لنبية  
آل عمران / ١٢٨ (ليس لك من الأمر شيء) . ولما نزلت على رسول الله (وأنذر عشيرتك  
الأقربين) . قام فقال : (يا معشر قريش أو كلمة نحوها - اشترتوا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله  
شيئاً . . .)

والشفاعة نوعان :

نوع منى في القرآن : يقول الله تعالى في سورة يونس / ١٨ : (ويعبدون من دون الله  
ما لا يضرمهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) . وهذا شرك بقوله تعالى في سورة  
يونس / ١٨ : (سبحانه وتعالى عما يشركون) .

والنوع الآخر : أثبتته القرآن ، وقيده الله تعالى بأمرين : ١ - إذنه للشافع قال تعالى في سورة  
البقرة / ٢٥٥ : (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) ، ٢ - رضاه عن من أذن للشافع أن يشفع  
فيه قال تعالى في سورة الأنبياء / ٢٨ : (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) .

## الغلو في الصالحين

ويستطرد الكتاب . فثمة باب تدور حوله أبواب . هو ( ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ) . وفي الصحيح عن ابن عباس في قوله تعالى في سورة نوح / ٢٣ : ( وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن وداً ولا سواعاً ولا يعوق ويعوق ونسراً ) . قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصباً وسموها بأسمائهم ؛ ففعلوا . ولم تعبد . حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم حقيقة أمرهم عبت . أما وداً فكانت لكلب بدومة الخندل ؛ وأما سواع فكانت للذليل . وأما يعوق فكانت لمراد . ثم لبني القطف ، وأما يعوق فكانت لعمدان ، وأما نسر فكانت لآل ذى الكلاع<sup>(١)</sup> . ويستقل من عبادة الأصنام إلى عبادة القبور والنبي ﷺ يحذر منها بقوله : ( لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ) . ويقول : ( ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد . ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك ) . وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً .

ومالك يروى في الموطأ عن الرسول : ( اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ) ، وعن ابن عباس قال : ( لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور

(١) ويقول الشيخ في كتاب مختصر السيرة :

( ومن أقدم أصنامهم مائة وكان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المثل بقديد بين مكة والمدينة ، فعث رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه فهدمها عام الفتح . ثم اتخذوا اللات في الطائف وقيل : إن أصل ذلك رجل يلبث المونق للحاج . فأتت ، فمكفوا على قبره وكانت صخرة مربعة مدنتها ثقيف ، وكانوا قد بنوا عليها بيتاً ، فكان جميع العرب يعظمونها ، وكان العرب نسي و زيد اللات وتم اللات ، وهي في موضع مائة مسجد الطائف . فبنا أسلمت ثقيف بعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها ، وأحرقها بالنار ، ثم اتخذوا العزى وهي أحدث من اللات . وكانت بؤدى نخلة فوق ذات عرق . وبنوا عليها بيتاً ، وكانوا يسمعون منها الصوت ، وكانت قريش تعظمها . فلما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد فهدمها . هبل : وكان من عقيق أحمر على صورة إنسان ، وكانوا إذا اختصموا أو أوردوا سفراً أتوه فاستصموا بالقدح عدده . وكان لهم أساف وثائلة : أصلها أن أسافاً رجل من جرهم وثائلة امرأة منهم ؛ فدخلوا البيت ، ففجرا فيه . فسخرها الله حجرين ، فأخرجوهما ، فوضعهما ليعظن بها الناس ، فلما طال الأمد وعبدت الأصنام عبداً ، وذو الحنيفة وكان لغهم وبجيلة بين مكة والمدينة ، فقال رسول الله ﷺ لجرير بن عبد الله البجلي : ( ألا تريخي من ذى الحنيفة ) فسار إليه فقاتته همدان فظفر به وهدمه . وكان لأهل كل واد عمكة صم إذا أراد أحدهم سفراً كان آحرماً بصنع في منزله أن يتصحب به . وصم عم أنس ، وكان لحولان وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواعيت وهي بيوت تعظمها كعظيم الكعبة ، ولما فتح رسول الله ﷺ مكة وجد حول البيت ثلثائة وستين صنماً ، فجعل يعصن في وجوهها وعيونها ويقول : ( جاء الحق ووهق الناطل إن ناطل كان . هوقاً ) الإسراء ٨١ . وهي تتساقط على رؤوسها . ثم أمر بها فخرجت من المسجد وأحرقت .

والمتخذين عليها المساجد والسرور). وعن علي بن زين العابدين أنه رأى رجلاً يمشي إلى فرجة كانت عند قبر النبي فيدخلها فيدعو فيها وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: (لا تتخذوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا عليّ وإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم<sup>(١)</sup>).

وهذا يدل على أن قصد القبر للسلام ممن يدخل ليصلي منهي عنه. وأنَّ قصده للدعاء منهي عنه.

وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل إنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك<sup>(٢)</sup>. وكان الصحابة - والتابعون يأتون مسجد النبي فيصلون فإذا قضاوا الصلاة قعدوا أو خرجوا. ولم يكونوا يأتون القبر للسلام، لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه عند دخول المسجد هي السنة. وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك أول للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم بل نهاهم عنه في قوله (لا تتخذوا قبوري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني).

والحسن بن زين العابدين يقول لسهيل بن أبي سهيل: ماذا رأيت عند القبر؟ فيجيبه: سلمت على النبي ﷺ. فيقول له: إذا دخلت المسجد فسلم. إن رسول الله ﷺ قال: لا تتخذوا قبوري عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم. لأن اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).

\* \* \*

وفي كتاب كشف الشبهات يواصل الشيخ شرحه الآتي واحدة بعد أخرى. يقول: (اقرأ قوله

(١) العيد يجمع معاني: منها الاجتماع المتداد، واليوم العائد كيوم الفطر ويوم الجمعة، ومنها الأعمال التي تتبع فيه الاحتفالات والموائد).

(٢) يقول مالك: (لا أرى لمن يدخل مسجد الرسول أن يتف عند قبر الرسول ﷺ ولكن يلم ويمضي). ويقول القرظي: ولهذا بلغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي، فأعلوا حيطان تربته. وسدوا المداخل إليها. وجعلوها مدقة بقبره، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره.

ونص أحمد أن استقبال القبلة ويجعل الحجر عن يساره لئلا يستدره. ويقول الشافعي: أكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة على من بعده من الناس.

وذكر الزيلعي أنه يكره أن يبنى على القبر. وذكر قاضي خان (وهو حنفي) أنه لا يبنى على القبور ولا يخصص كراهة تحريم. وابن حجر يذكر أن بناء القباب على التبريد من الكبائر.

ونسي عمر بن عبد العزيز أن يبنى القبر بآجر، وأوصى الأسود بن يزيد: (لا نجعلوا على قبوري آجرًا). وأوصى أبو هريرة عند موته لا يضرروا على قبره فسطاطاً، وكره الإمام أحمد أن يُضرب على القبر فسطاط.

وبعد أن منع الرسول زيارة القبور أباحتها للاعتبار.

تعالى في سورة يونس / ٣١ : « قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلاتنتقون . وبقوله تعالى في سورة « المؤمنون » / ٨٤-٨٩ : ( قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلاتذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلاتنتقون ؟ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل فأني تسحرون) . وغير ذلك من الآيات فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا وعرفت أن التوحيد الذي جمدهوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد : ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا لهم أو يدعورجالاً صالحاً مثل اللات أو نبياً مثل عيسى ، وعرفت أن رسول الله قاتلهم على هذا الشرك ، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى في الجن / ١٨ : ( وأن المساجد لله فلا تدعومع الله أحداً) . وكما قال تعالى في الرعد / ١٤ : ( له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) . . . . وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام - عرفت حقيقة التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأنى عن الإقرار به المشركون .

وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله ، فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجرة أو قبراً أو جنياً ، وإنما يعنون بالإله ما يعنى المشركون في زماننا من كلمة السيد (١) فاتاهم النبي ﷺ بدعوتهم إلى كلمة التوحيد . . . معناها لا مجرد لفظها) .

الفتاوى :

في فتاوى الشيخ ورسائله توضيح لفكره ، وكذلك فتاوى أبنائه بعده وكانوا حقاً علماء ، واليك أمثالاً :

١ رسالة جوابية من محمد بن عبد الوهاب .

يقول في الشرك : ( . . . قيل : إن أول آية نزلت قوله سبحانه وتعالى بعد اقرأ (يا أيها المدثر قم فأنذر) قف عندها ثم قف ثم قف تر العجب العجيب . وتبين لك ما أضع الناس من الأصول . وكذلك قوله تعالى في النحل / ٣٦ : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ) والآية وكذلك قوله تعالى في الجنائز / ٢٣ : ( أفرايت من اتخذ إلهه هواه) . . . ولكن أظنك وكثيراً من أهل هذا

(١) قول أهل زماننا : ( سيدى فلا ) .

الزمان ما تعرف من الآفة المعبودة إلا هبل ويغوث ويعوق ونسراً واللات والعزى ومناة . فمن جاد فهمه عرف أن المقامات المعبودة اليوم من البشر والشجر والحجر ونحوها مثل شمسان وإدريس وأبو حديدة ونحوهم ، منها . هذا ما أتمر به الجهل والغفلة)

ويقول في الاجتهاد : ( . . . وهذه المسائل وأشباهاها مما يقع الخلاف فيه بين السلف والخلف من غير تكبير من بعضهم على بعض ، فإذا رأيتم من يعمل ببعض هذه الأقوال المذكورة بالمنع مع كونه قد اتقى الله ما استطاع لم يحل لأحد الإنكار عليه اللهم إلا أن يتبين الحق فلا يحل لأحد أن يتركه لقول أحد من الناس . وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يختلفون في بعض المسائل من غير تكبير ما لم يتبين النص ، فيجب على المؤمن أن يحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا ، لكن لا يتخذهم أرباباً من دون الله . . . ) .

- وفي الصفات يقول ابنه عبد الله :

(الجواب وبالله التوفيق عن آيات الصفات وأحاديثها التي اختلف فيها علماء الإسلام فنقول : الذي نعتقد وندين لله به هو مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من الأئمة الأربعة وأصحابهم رضى الله عنهم أجمعين . وهو الإيمان بذلك والإقرار به وإمراره كما جاء من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل . . . ) .

وفي جواب من يسأل عن كان يستغيث بالخلوق عند الشدائد بالنداء والدعاء ويستغيت ويتوسل ويتوجه بنيه أو بالصالحين .

(والجواب : أما سؤال الميت والغائب نبياً كان أو غيره تفريج الكربات وإغاثة اللهفات والاستغاثة به في الأمور المهيات فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين . . . ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الأنبياء لا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها ولا كانوا يقصدون قبورهم للدعاء والصلاة عندها ، ولهذا ثبت في الصحيح أن الناس لما قحطوا في زمان عمر رضى الله عنه استسقى بالعباس وتوسل بدعائه وقال : اللهم ، إنا كنا نتوسل إليك إذا أجدبنا ببينا فستقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاستقنا ، فيسقون . وكذلك معاوية رضى الله عنه لما استسقى لأهل الشام توسل بيزيد بن الأسود الجرشي ، فهذا الذى ذكره عمر رضى الله عنه توسل منهم بدعاء النبي وشفاعته في حياته ، ولهذا توسل بعده بدعاء العباس وتوسل معاوية بدعاء يزيد بن الأسود (١) . . )

(١) وتستمر الفتوى .

- وهذه الأمور المبدعة عند التقبور أنواع : أبعدها عن الشرع من يسأئ الميت كما يفعله كثير من الناس . وهؤلاء من جنس عبدة الأصنام . فكل من دعا نبياً أو ولياً أو صالحاً وجعل فيه نوعاً من الإلهية فقد تناولته هذه الآفة . فإنها عامة في كل من دعاه من دون =

ويفتى أبناء الشيخ حسين وإبراهيم وعبد الله وعلى فرادى أو مجتمعين . من ذلك : قول حسين وعبد الله جواباً على استفتاء : ( إن عقيدة الشيخ رحمه الله . . هي عقيدة سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان . . . وإذا تفقه الرجل في مذهب من المذاهب الأربعة ثم رأى حديثاً يخالف مذهبه فاتبع الدليل وترك مذهبه - كان هذا مستحباً بل واجباً عليه إذا تبين له الدليل . ولا يكون مخالفاً لإمامه الذي اتبعه . فإن الأئمة كلهم متفقون على هذا الأصل . . . . . ) . وأما إذا لم يكن عند الرجل دليل في المسألة يخالف القول الذي نص عليه العلماء أصحاب المذاهب فنرجو أنه يجوز له العمل به لأن رأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا وإنما أخذوا الأدلة من أقوال الصحابة فمن بعدهم . ولكن لا ينبغي الجزم بأن هذا شرع الله وشرع رسوله . حتى يتبين الدليل الذي لا معارض له في المسألة . وهذا عمل سلف الأمة وأئمتها قديماً وحديثاً والذي ننكره هو التعصب للمذاهب وترك اتباع الدليل (١) .

- الله مدعو... سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد فعل الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه . . . . . وقد نص الأئمة أنه لا يجوز الاستغاثة بمخلوق . . . . . والغلو في الصالحين هو من فعل المشركين كما حكاه الله تعالى عن قوم نوح . . . . . فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من العبادة مثل أن يقول : يا سيدي فلان انصرفي أو اغثني أو ارزقني أو آجرتي أو أنا في حسيك أو نحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستاب صاحبه . . . . . النوع الثالث من الأمور المبدعة عند القبور أن يسأل الله تعالى به ، وهذا يفعله كثير من المتأخرين . وهو من البدع المحدثه في الإسلام ، ولكن بعض العلماء يرخص فيه ، وبعضهم ينهى عنه ويكرهه . وليس هذا مثل الشوع الذي قبله ، فإنه لا يصل إلى الشرك الأكبر عند من كرهه ولا يسمى هذا استغاثة بالرسول ، وإنما هو سؤال به . والفرق بينه وبين الذي قبله فرق عظيم . وإد المستغِيث بالشيء طالب منه سائل له والمتوسل به لا يدعو ولا يطلب منه ولا يسأل . وإنما يطلب به ، والتوسل إلى الله بغير نبينا ﷺ لا نعلم أحداً من السلف فعله : قال بشر بن الوليد : سمعت أبا يوسف قال : قال أبو حنيفة : ( لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به وذكره أن يقول : ( بمعتقد العزم من عرشك أو بحق خلقك ) وهو قول أبي يوسف . قال أبو يوسف : بمعتقد العزم من عرشك جو الله فلا أكره هذا . وأكره حق فلان ، أو بحق أبييالك ورسلك ، وبحق البيت والمشرع الحرام . النوع الثالث من الأنواع المبدعة عند القبور : أن يظن أن الدعاء عندها مستجاب أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد ، فينصد القبر لذلك ؛ فإن هذا من المنكرات إجماعاً . . . . . )

( . . . . . ) من مات على التوحيد وقامة قواعد الإسلام الخمس وأصول الإيمان الستة ولكن كان يدعو وينادي ويتوسل في ادعاء إذا دعا ربه ويتوجه بنيه في دعائه معتمداً على الحديثين الذين ذكرواها أو جهلا منه وغاوة - كيف حكمهم ؟ فالجواب أن يقال : . . . . . في أئمة الفترات وغلبة الجهل لا يكفر الشخص المعين بذلك حتى تقوم عليه الحجة بالرسالة ، وبين له ويعرف أن هذا هو الشرك الأكبر الذي حرمه الله ورسوله . فإذا بلغت الحجة وتليت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، لم أصر على شركه - فهو كافر ؛ بخلاف من فعل ذلك جهالة منه ولم يسه على ذلك . والجاهل فعله كفر . ولكن لا يحكمه بكفره إلا بعد تبين الحجة إليه . وأما من مات وهو يفعل الشرك جهلاً لا عناداً فهذا نكل أمره إلى الله تعالى . . . . . ) (١) وتستمر الفتوى .

لا يجوز تقبيل أيدي العلماء والسادة الأغنياء في التحية ، ويتخذ ذلك عادة بسنة . بل ذلك من البدع المحدثه . فيجب على المسلمين إزالتها والهي عنها . وأما تقبيل اليد في بعض الأحيان كتقبيل يد المعلم لمعلمه . أو من كان من أهل بيت رسول الله ﷺ -

= لشرف نبيه - فلا بأس بذلك إذا لم يجعل عادة مستمرة كما صح في الحديث : أن أبا عبيدة قبل يد عمر . والفرق أن ما يفعل في بعض الأحيان يجوز ، وأما ما يجعل عادة وسنة فلا يجوز .

- إن الرجل لا يكون مسلماً إلا إذا عرف التوحيد ودان به ، فمن قال : لا أعادي المشركين ، أو أعاداهم ولم يكفرهم ، أو قال : لا أتعرض لأهل لا إله إلا الله ولو فعلوا الكفر أو الشرك وعادوا دين الله ، أو قال : لا أتعرض للقباب - فهذا لا يكون مسلماً بل هو ممن قال الله فيهم في سورة النساء ١٥٠ - ١٥١ :

( ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقا ) . والله سبحانه وتعالى أوجب معادة المشركين ومبايعتهم وتكفيرهم فقال في المجادلة : ٢٢ : ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ) . . .

- إن قول ( سيدي ) ونحوه إن قصد به أن هذا الرجل معبوده الذي يدعوه عند الشدة لتفريج الأزمات وإغاثة الملهفات فإن ذلك شرك أكبر . وأما إن كان مراده غير ذلك كما يقول الانبياء لشيخه ( سيدي ) أو يقال للأمير والشريف أولم كان من أهل بيت الرسول هذا سيد ، فهذا لا بأس به . ولكن لا يجعل عادة ، وسنة بحيث لا يتكلم إلا به . وثبت أن رسول الله قال : ( أنا سيد ولد آدم ) وقال في الخس : ( إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فتيين عظيمين من المسلمين ) .

- إن صاحب البردة ومن في كلامه الشرك وانغلوث في الذين ماتوا لا يحكم بكفرهم ، وإنما الواجب إنكار هذا الكلام وبيان أن من اعتقد هذا على الظاهر فهو مشرك كافر . وأما القائل فيرد أمره إلى الله سبحانه . ولا ينفي التعرض للأمرات ، لأنه لا يعلم هل تاب أو لا ؟ وأما شعر ابن الفارض فإنه كفر صريح ، لأنه شاعر الاتحادية الذين لا يفرقون بين العابد والمعبود والرب والمربوب ، بل يقول بوحدة الوجود وهو من طائفة ابن عربي الذين قال فيهم ابن المقرئ الشافعي : من شك في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر والله أعلم .

إن القراءة على القبور وحمل المصاحف إلى القبور يفعلها بعض الناس . يجلسون سبعة أيام ويسمونها الشدة ، وكذلك اجتماع الناس عند أهل الميت سبعة أيام ويقرءون فاتحة الكتاب ويرفعون أيديهم بالدعاء لطيب ، فكل هذا من البدع والمنكرات المحدثه التي تحب إزالتها ، ولم تكن تفعل على عهد الرسول ﷺ ولا في عهد خلفائه الراشدين .